الفصل الرابع عشر

آراء الشيعة في تفسير قوله تعالى " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا "

نعرض في هذا الفصل أقوال علماء الشيعة فيما جاء في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، واعتبارها دليلاً على مبدأ الإمامة ودليلاً على عصمة أئمة أهل البيت.

ومع أنني كنت أنوي مناقشة موضوع العصمة بعد الفراغ من مناقشة أدلة علماء الشيعة على صحة نظرية الإمامة، إلا أنني وجدتهم يحتجون بها في بيان صحة نظرية الإمامة أيضا. لذلك رأيت مناقشتها في هذا الفصل. والموضوع على كل حال بعضه متصل ببعض، ويحصل فيه التداخل ويجوز.

أضع بين أيدي القراء الكرام أولا نص الآيات المتصلة بالموضوع من سورة الأحزاب وهي من ٢٨ إلى ٣٤:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

يقول مركز الأبحاث العقائدية، المتخصص في عرض العقائد الشيعية والدفاع عنها، وهو أحد مراكز آية الله السيد علي السيستاني، يقول المركز في معرض تفسير ما جاء في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، مكررا وملخصا ما يقوله جمهور علماء الشيعة الإثني عشرية في هذا العصر:

"مما أجمع عليه أهل النقل من المسلمين كافة أن آية التطهير قد نزلت لوحدها منفردة دون ما قبلها وبعدها وهذا شيء متفق عليه، فمن هنا يبطل القول بأنها نازلة في خصوص النساء لورود سبب نزول صحيح عند الجميع بأنها نزلت في أصحاب الكساء (عليهم السلام). وكذلك يبطل القول بأنها نازلة في النساء وأصحاب الكساء لعدم ذكرهن في سبب النزول، وعدم إدخال النبي ﷺ لأم سلمة مع طلبها لذلك على الرغم من فضيلتها وعظمتها التي لا تنكر.

وأما من يحتج على دخول النساء بمسألة السياق، فالسياق لا يستدل به مع ورود سبب نزول بخلافه.

وكذلك فإن السياق قد هدم بمجيء ضمير التذكير خلافاً لما قبلها وبعدها، فيكون الخطاب حينئذ غير متوجه لنساء النبي ﷺ قطعاً مهما كانت تأويلاتهم لضمير التذكير في (عنكم ويطهركم)، فلو أراد الله تعالى إبقاء السياق في الكلام مع النساء لما أعرض عن ضمير التأنيث الى التذكير فإن ذلك يهدم السياق ويوهم الناس.

وبالتالي وعلى كل حال فإن النبي ﷺ هو الذي يبين سبب النزول حتى تعرف الأمة المراد ، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، فالنبي ﷺ بين نزول آية التطهير لوحدها دون ما قبلها وما بعدها، وكذلك بين حصر أهل البيت المقصودين في آية التطهير قولاً وفعلاً بحصرهم بالكساء وقوله ﷺ: (اللهم هؤلاء أهل بيتي...) كما خصهم الله تعالى بذلك بقوله (إنما).

ونكتفي لتأكيد قولنا هذا بقول أبي المحاسن الحنفي في كتابه (معتصر المختصر في باب أهل البيت ج ٢ / ٢٦٧) وهو من علماء السنة وقال فيه: (والكلام لخطاب أزواج النبي ﷺ تم إلى قوله: (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ استئناف تشريفاً لأهل البيت وترفيعاً لمقدارهم، ألا ترى أنه جاء على خطاب المذكر فقال (عنكم) ولم يقل عنكن! فلا حجة لأحد في إدخال الأزواج في هذه الآية، يدل عليه ما روي أن رسول الله ﷺ كان إذا أصبح أتى باب فاطمة فقال: (السلام عليكم أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). انتهى كلامه فإنه كلام حق قلَّ من نطق به.

وأخيراً فلعل وضع النبي ﷺ لهذه الآية وسط آيات خطاب الله تعالى ورسوله لنسائه (قبلها وبعدها) إنما كان للتمييز فيما بين نساء النبي ﷺ وأهل بيته (عليهم السلام) المتماثلين بالقرب منه والصلة به والملاصقة له ﷺ، فنساء النبي ﷺ قد طلب منهن الالتزام بأوامر الله تعالى والحذر من مخالفتها، فإنهن لسن كغيرهن من النساء فيجب عليهن الالتزام أكثر من غيرهن، لأنهن لا يمثلن أنفسهن فحسب وإنما ينتمين الى النبي ﷺ ويحسبن عليه، فيجب عليهن عدم الإساءة إليه بتصرفاتهن غير المسؤولة، فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ أي تذكرن وانتبهن للتعاليم التي خرجت إلى الناس من بيوتكن فأنتن أولى بتذكرها وذكرها، وذلك بعد تخييرهن واختيارهن الله ورسوله، فكأن تلك الآيات الشريفة شروط وخطوط يبينها الله تعالى أوجبها عليهن.

أما الخطاب الذي ذكر أهل البيت -عليهم السلام- فكان خطاباً يختلف عن ذلك الخطاب المتوجه إلى نساء النبي ﷺ، فأهل البيت عليهم السلام ذكروا في هذه الآية مدحاً ورفعاً لشأنهم كما قال أبو المحاسن ودون قيد أو شرط، فيكون ذكر شطري قرابة النبي ﷺ وبيان حالهم والتمييز بينهم وبيان حالهم نكتة لطيفة من الله تعالى في جمعهم في مكان واحد.

فقد يساء لأهل البيت عليهم السلام بالفهم الخاطئ للتنديد الوارد بالنساء ومطالبتهن بالالتزام وتذكر أحكام الله وعدم أذية النبي ﷺ والتضييق عليه فيدخلهم في ذلك التخيير من الله ورسوله، وأنه يشملهم وأنهم مطالبون بتذكر آيات الله وعدم مخالفتها، فلذا جيئ بهذه الجملة المعترضة والآية الكريمة في وسط ذلك الجو لينزه أهل البيت -عليهم

السلام- عن ذلك العتاب وذلك الإلزام وتلك الشروط، ويدفع ذلك التوهم بمدحهم مدحاً عظيماً مؤكداً ومخصصاً لهم بذلك الفضل دون من سواهم، والله العالم".

(انتهى النقل. الرابط في شبكة الإنترنت:

http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=14&qid=2857

علماء الشيعة يستندون إلى الآية

لإثبات عصمة أئمتهم الإثني عشرية

ويزعم مركز الأبحاث العقائدية أن هذه الآية، أو هذا الجزء من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، يدل على عصمة أئمة الشيعة الإثني عشرية كلهم. يقول:

"الآية المذكورة ولو أنها نزلت في أصحاب الكساء بصراحة الروايات المتواترة ، ولكن في الوقت نفسه تشمل بقية الأئمة الإثني عشر - عليهم السلام-، ويدلّ على ذلك:

أولاً : إن الآية الشريفة تدل بصراحة على عصمة أهل البيت -عليهم السلام- كما قرر في محله ، فمدار الحكم في الآية هو العصمة، وهذا الحكم يكون جارياً فيمن كان معصوماً من ذريتهم عليهم السلام.

وبعبارة واضحة: أن باقي الأئمة -عليهم السلام- بما أنهم معصومون ، سوف يكونون من مصاديق أهل البيت -عليهم السلام- في الآية.

وكذا الكلام في اشتمال الآية على السيدة زينب -عليها السلام)، لما صدر عن الأئمة (عليهم السلام) في تصديق عصمتها (عليها السلام) ، فيدخلون هؤلاء جميعاً تحت عنوان أهل البيت (عليهم السلام) دخولاً حكمياً بدون ترديد". (انتهى النقل. الرابط في شبكة الإنترنت:

http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=14&qid=2898)

وفي المكتبة العقائدية التي نشرها مركز الأبحاث العقائدية يوجد كتاب "آية التطهير" للسيد علي الحسيني الميلاني، وهو يقول فيه: "هذه الآية المباركة أيضاً من جملة ما يستدلّ به من القرآن الكريم على إمامة أمير المؤمنين سلام الله عليه". (الرابط في شبكة الإنترنت:

http://aqaed.info/?p=shialib&n=2&u=770#tot01

ويروي علماء الشيعة المعاصرون من مصادرهم، روايات كثيرة، تشدد على إخراج أزواج النبي ﷺ من أهل البيت، وتبني على الآية نظرية الإمامة والقول بعصمة الأئمة.

هذا موجز تأويل الشيعة للآية ٣٣ من سورة الأحزاب، ونترك التعليق عليه للفصول المقبلة إن شاء الله تعالى.